Derna University Journal of Humanities and Social Sciences, Vol. 4, Issue 7, March 2026.

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Derna University Journal of Humanities and Social Sciences (DUJHSS)
Source Homepage: https://dujhss.uod.edu.ly
P-ISSN: 2959-6475 | E-ISSN: 2959-6483 | Impact Factor: 0. 84
https://doi.org/10.58987/dujhss.v4i7.253

الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنينوس الأول (1143م/537هـ-1180م/576هـ)

د. سليمان يحيى عبد الله بوحويش
كلية الآداب، جامعة طبرق، ليبيا
Sulaymanyahya2016@gmail.com

د. جبريل محمد صالح
كلية الآداب والعلوم، المرج، جامعة بنغازي، ليبيا.

تاريخ الاستلام: 2025/12/21 ؛ تاريخ القبول: 2026/02/10 ؛ تاريخ النشر: 2026/03/02

الكلمات المفتاحية:
الإمبراطورية البيزنطية، الممالك المسيحية الغربية، الأناضول، آل كومنينيوس.

المستخلص

كونت الإمبراطورية البيزنطية معظم مدة وجودها أكبر قوة اقتصادية، وثقافية، وعسكرية في أوروبا، وكانت استمراراً مباشراً للإمبراطورية الرومانية في الشرق، وبحلول القرن الثاني عشر انتعشت الإمبراطورية البيزنطية انتعاشاً عسكرياً وماليا وإقليمياً، واستعاد آل كومنين(1081م/ 473هـ- 1185م/581هـ) بعض الأراضي وفرضوا هيمنتهم وإن كانت لمدة وجيزة في القرن الثاني عشر الميلادي/ القرن السادس الهجري.

ورث الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل كومنينيوس -خلفاً لوالده- الإمبراطور يوحنا الثاني كومنين(1118م/ 512هـ-1143م/ 537 هـ) وعمل الإمبراطور مانويل الأول (1143م/ 537هـ- 1180م/ 576هـ) على تأمين حدوده بشن حملات عدائية ضد جيرانه في كل من الشرق والغرب كما نجح في إمرار الحملة الصليبية الثانية عام 1147م/541هـ عبر إمبراطوريته وتحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية وأرسل اسطولاً كبيراً للمشاركة في غزو مصر الفاطمية؛ وأدت سياسته إلى مكاسب إقليمية واسعة، كما استقرت الحدود في الأناضول وكذلك الحدود الأوروبية للإمبراطورية؛ ويعد موضوع الإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنينوس (1143م/ 537هـ- 1180م/ 576هـ)، موضوعاً ذا أهمية، وأمراً جديراً بالدراسة والبحث في العصور الوسطى.

The Byzantine Empire during the Reign of Emperor Manuel I Komnenos (1143 CE / 537 AH – 1180 CE / 576 AH)

Dr. Sulaiman Yahya Abdullah Buhweish
Faculty of Arts, University of Tobruk

Dr. Jibril Muhammad Saleh
Faculty of Arts and Scinces, Al-Marj, University of Benghazi

Received :21/12/2025 Accepted: 10/02/2026 Published: 02/03/2026

Abstract

For most of its existence, the Byzantine Empire constituted the greatest economic, cultural, and military power in Europe. It was the direct continuation of the Roman Empire in the East. By the twelfth century, the Byzantine Empire experienced a military, financial, and territorial revival. The Komnenian dynasty (1081 CE / 473 AH – 1185 CE / 581 AH) recovered certain territories and imposed its dominance, albeit briefly, during the twelfth century (sixth century AH). The Byzantine Emperor Manuel Komnenos, who succeeded his father Emperor John II Komnenos (1118 CE / 512 AH – 1143 CE / 537 AH), worked to secure the empire's borders by launching military campaigns against neighboring powers in both the East and the West. Emperor Manuel I (1143 CE / 537 AH – 1180 CE / 576 AH) also facilitated the passage of the Second Crusade through his empire in 1147 CE / 541 AH. He formed an alliance with the Crusader Kingdom of Jerusalem and dispatched a large fleet to participate in the invasion of Fatimid Egypt. His policies resulted in significant territorial gains, and the empire's borders in Anatolia, as well as its European frontiers, were stabilized.The Byzantine Empire during the reign of Manuel Komnenos (1143 CE / 537 AH – 1180 CE / 576 AH) represents an important subject worthy of study and research within the context of the Middle Ages.

Keywords

Byzantine Empire; Western Christian Kingdoms; Anatolia; Komnenoi.

© The Author(s) 2026. This article is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4).

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول تقييم دور الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس الأول على هيئة عدة تساؤلات منها هل نجح الإمبراطور مانويل في توسيع النفوذ البيزنطي على حساب السلاجقة باستعادة الأناضول وكذلك على الدول الصليبية في انطاكية والقدس. وهل كان الإمبراطور إمبراطوراً عظيماً ناجحاً أم إن طموحه أرهق الإمبراطورية البيزنطية وتركها أضعف مما كانت عليه.

كل هذه التساؤلات وغيرها سيحاول الباحثان الإجابة عليه من خلال هذه المباحث.

هذا وقد تناول الباحثان الموضوع الذي نحن بصدد دراسته من خلال مبحثين وخاتمة.

تناول المبحث الأول: الإمبراطورية البيزنطية في أواخر عهد الإمبراطور يوحنا الثاني كومنينيوس (1118م/ 512هـ-1143م/537هـ)، وتولي ابنه الرابع الإمبراطور عمانوئيل كومنينيوس(1143م/ 537هـ -1180م/ 576هـ) وجهوده الحربية لتأمين إمبراطوريته غرباً وشرقاً (حملاته ضد السلاجقة والدانشمنديين وكذلك غزوه للمناطق الجنوبية من مملكة المجر عام1167م/ 562هـ حتى وقع في يده كامل الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي.

ثم يأتي المبحث الثاني والذي سيتناول فيه الباحثان: تحالفات الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول مع مملكة بيت المقدس الصليبية، وكذلك تحالفه مع بابا الفاتيكان لغزو إيطاليا ادريان الرابع(1154-1159م)والممالك المسيحية الغربية، ونجاحه في إمرار الحملة الصليبية الثانية عبر أراضي إمبراطوريته عام 1147م/541هـ وكذلك إخفاقه في السيطرة على مصر عام 1169م/ 564هـ؛ ومن ثم وفاته عام1180م/576هـ؛ وتولي ابنه وخليفته إلكسيوس الثاني كومنينوس وكان قاصراً، وحكم الإمبراطورية بوصاية مما أثر سلباً على الإمبراطورية البيزنطية.

الإمبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل كومنينوس الاول

(1143م /573هـ- 1180م/576هـ)

توفي الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنينوس في شهر إبريل 1143م/ شهر شوال537هـ؛ في قليقية(*) ، وهو يستعد لمهاجمة أنطاكية، جراء جرح أصابه أثناء إحدى رحلات صيده بسهم مسموم، وكان الإمبراطور يوحنا معجبا بابنه مانويل(*)، لما يتميز به من شجاعة وإقدام خاصة في المعارك التي خاضتها الإمبراطورية البيزنطية ضد الدنماركيين عام 1143م/ 537هـ؛ الأمر الذي جعله يختصه وهو على فراش الموت ليوليه إمبراطورا خلفاً له دون أخيه الأكبر إسحاق(Gibbon، 1794، ص72)؛ هذا وقد رأى يوحنا الثاني أن فضاضة إسحاق وكبرياءه لا تصلح لأن يكون إمبراطوراً وقائداً .

على أية حال تولى مانويل كومنينيوس الإمبراطورية بمباركة جيوش بيزنطة(Norwich، 1970، ص87-88)؛ وقبض على إسحاق وأودعه السجن، وتم تتويج مانويل من قبل البطريرك مايكل الثاني كوركواس Michael II Constantinople (1143-1146م)(*) ، وعندما استتب له الأمر أطلق سراح أخيه إسحاق.

قام الإمبراطور مانويل كومنينوس بعدة إجراءات رأى أنها ضرورية في هذا الوقت بالذات، فأعطى كل رب أسرة في القسطنطينية قطعتين من الذهب، ثم أعطى الكنيسة البيزنطية 200 رطلا من الذهب (Norwich، 1970، ص89).

كانت الإمبراطورية التي ورثها مانويل تتمتع باستقرار في عهد والده يوحنا الثاني وكذلك في عهد جده؛ إلا أن الأخطار بدأت تعصف بالإمبراطورية فالنورمان سيطروا على صقليه، وقفز الأتراك السلاجقة على وسط الأناضول، وظهر الصليبيون في بلاد الشام(Diehl، 2020، ص210)؛ ولهذا كله لم تكن مهمة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس بالسهلة (Cinnamus، 1976، ص33-35).

(*)قليقية: مدينة عرفت بإسم ارزن الروم وهي قيليقيه وهي كرين وهي ثيود.الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي(ت: 1230م/626هـ): معجم البلدان، دار صادر(بيروت، 1979م) مادة قيليقا، ج1، ص151.

(*)الامبراطور مانويل الاول كومينينوس ولد في يوم 28 نوفمبر1118م 6 شعبان 512 هـ؛ من امه ايرين المجرية ابنة الملك المجري لاديسلاوس الاول ملك المجر وكرواتيا من 25 ابريل 1077 حتى29 يوليو 1095م Markus Kalti; The Hungarian Illuminated Chronicle, First American edition, 1970,p.140

(*) -البطريرك ميخائيل الثاني كوراكس: هوالبطريرك المسكوني للقسطنطينية من عام1143-1146م، وكان رئيس دير اوكسيا قبل- انتخابه بطريركاً، توفي عام 1146م[1]- Magdalino, Paul; The Empire of Manuel I Komnenos 1143-1180, Cambridge university press, 1993, p.p. 276-277.

حاول مانويل العمل على استعادة الإمبراطورية البيزنطية إلى سابق أمجادها قوة عظمى في منطقة البحر الأبيض المتوسط، فأقام تحالفات مع كل من بابا الفاتيكان،كما تحالف أيضاً مع الأمراء الدانشمنديين(Diehl، ص149)؛ ويبدو أن مانويل كان يريد إثبات براعة وقوة جيوشه لتأديب الطامعين داخلياً وخارجياً دون الحاجة إلى السيطرة على أراضي جديدة.

ومع كل هذا فقد عمل على تعيين خط ثابت للحدود مع السلاجقة، وبنى عليه سلسلة من الأبراج وثيقة الارتباط فيما بينها؛ كما شيد الاستحكامات على الطرق التي يسلكها جيش السلاجقة خلال غاراته مما قلص نشاط السلاجقة، حتى اقتصر على الصوائف (الغارات الصيفية) التي كانت تجتاح الممتلكات الرومية متجنبة الحصون الكبيرة وجيوش الإمبراطورية(Choniates، 1984، ص7–9).

العلاقات السياسية بين البيزنطيين والدانشمنديين في عهد مانويل الاول

تعود العلاقة بين الدانشمنديين والبيزنطية إلى ما قبل عهد الإمبراطور البيزنطي مانويل، حينما قام الدوق البيزنطي كاسيانوس حاكم ولاية بافلاجونيا عام 1127م/521هـ بتسليم كل القلاع التي تحت سيطرته لأمير سيواس غازي بن الدانشمند مؤثراً أن يدخل في خدمته متمرداً على الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين، وبالفعل تمت مكافأة كاسيانوس بوظيفة، إلا أن العبري (ابن العبري، 1986، ص143)، لم يذكر هذه الوظيفة.

بعد وفاة الأمير محمد بن غازي الدانشمندي عام 1142م/537هـ، انقسمت إمارة الدانشمنديين نظراً لصراعاتهم إلى ثلاثة أقسام، وكان من نصيب الأمير ذو النون بن محمد إمارة قيصرية [*]، وعين الدولة بن غازي في ملطية [*]، اما ياغي سيان بن غازي فكان أميراً على سيواس(1142–1172م/537–570هـ) (ابن خلدون، ج5، ص190).

(*) -قيصرية: مدينة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط، تبعد عن يافا 30ميلاً شمالاً ومن بيت المقدس62 ميلاً شمال غرب وعن عكا 36 ميلاً، وقيل انها بنيت عام 22ق.م؛ وتتمتع باسوار حصينة وابراج عالية، ابوالفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي، الملك المؤيد –صاحب حماه (ت:1332م/ 732ه) : تقويم البلدان، المكتب التجاري للطباعة (د.م، د.ت)ج1، ص138.
(*)ملطية: هي بلدة ذات اشجار وفواكه وانهار، وهي مسورة في ارض بسيطة والجبال تحيط بها من بعد، ابوالفداء: تقويم البلدان، ج1، ص385.

ومما لاشك فيه أن ذلك الأمر قد أدى إلى إضعاف شأن الدانشمنديين جميعهم مما جعل السلطان السلجوقي ركن الدين مسعود الأول (1116م/ 510هـ- 1156م/ 551هـ) (*)، في قونية أكثر قوة وشأناً في الاناضول (Michel Le Syrien، 1901، ج3، ص254).

استغل السلطان السلجوقي ضعف الدانشمنديين وانقسامهم وهاجم سيواس مما اضطر أميرها ياغي سيان إلى الهروب والاحتماء بالجبال، ولم يكتف السلطان السلجوقي بذلك وإنما هاجم ملطية أيضاً وفرض عليها حصاراً استمر لبضعة أشهر (Michel Le Syrien، 1901، ج3، ص254).

لم يجد ياغي سيان بدًّا للاحتماء من السلاجقة إلا بطلب العون والمساعدة من الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين؛ والذي وجدها فرصة سانحة للتدخل في أمور الشرق لتؤمن له التسهيلات للوصول إلى منطقة إرمينية(Vryonis، ص119).

وكان السلاجقة قد توغلوا في مناطق رعي البيزنطيين في إقليم ملاجنة الواقعة على الطريق بين نيقية وضورليوم ونظراً لكون تلك الأراضي تشكل المراعي الأساسية لخيول الجيوش البيزنطية ويعتبر الاستيلاء عليها حرمانا للإمبراطورية البيزنطية من مورد استراتيجي مهم؛ واستبد السلطان السلجوقي مسعود الأول وأصبح يهدد وينتهك حدود الإمبراطورية البيزنطية في الأناضول(Vryonis، ص119).

كل هذه الأمور جعلت الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول يفكر في ضرب السلاجقة وتقليص نفوذهم في آسيا الصغرى(Diehl، 1924، ص149)، كما كان يفعلها والده، ساعده في ذلك تحالفه مع الأمراء الدانشمنديين وبفضل هذا الاتفاق كسب بعض التسهيلات في وادي الفرات وبالفعل تحركت قوات البيزنطيين يقودها الإمبراطور البيزنطي مانويل بنفسه ؛ في عام 1145م/ 539هـ، وبالفعل استطاع جيش مانويل هزيمة الأتراك واستولى على عدة مدن كانت محصنة، ووصل إلى عاصمتهم قونية نفسها وتم تدمير ما حولها إلا أن مناعة أسوار قونية حالت دون السيطرة عليها.

(*)السلطان مسعود الأول ركن الدين مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي(1116- 510/1155-550هـ) ينتمي إلى سلاجقة الروم (سلاجقة الاناضول) اشتهر بانتصاراته على الجيوش الصليبية في الحملة الصليبية الثانية؛ هزم جيش كونراد الثالث الالماني في معركة ضورولیوم الثانية، كما انهك الجيش الفرنسي بقيادة الملك لويس السابع وهو في طريقه إلى انطاكية؛ تولى الحكم بعد وفاة والده قليج ارسلان الأول وخلفه ابنه قليج ارسلان الثاني1156م. ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة ابن القلانسي (ت: 1160م/ 555هـ): تاريخ أبي يعلي حمزة أبن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، الطبعة الأولى، مكتبة المتنبي، دار المشرق (القاهرة، 1908م) ص332.

كما ردهم على أعقابهم من مدينة ملاجنة Malagna [*]، وعاد الإمبراطور فجأة إلى القسطنطينية وترجح المصادر (عمران، 1985، ص116–117)، سبب عودته تلك إلى أحد الأمرين إما لاعتلال صحته او لتدهور الحالة الصحية لأخته ماريا Maria التي كانت مريضة في تلك الفترة.

استغل السلاجقة انسحاب البيزنطيين المفاجئ فهاجموا الأراضي البيزنطية وأراضي حليفهم ياغي سيان واستولوا على مدينة براكانا Prakana؛ الأمر الذي أغضب الإمبراطور البيزنطي مانويل وجعله يرسل تهديده ووعيده للسلاجقة، وأخذ يحشد قواته لمهاجمتهم(Cinnamus، 1836، ص39).

وفي المقابل أخذ السلطان السلجوقي تهديدات الإمبراطور البيزنطي على محمل الجد، وبدأ في شحذ الهمم، وضم إلى صفوفه القوات الدانشمندية التي لم تكن راضية على الانضمام إلى البيزنطيين مع الأمير ياغي سيان، ولا شك أن اؤلئك كانوا يبغضون حالة الفوضى التي ظهرت في إمارتهم سيواس.

على اية حال كان لانضمام الدانشمنديين المنشقين على اميرهم إلى صفوف السلاجقة؛ وكذلك تحرك الحملة الصليبية الثانية وخوف مانويل من عواقب هذا التحرك كما حصل في الحملة الصليبية الأولى، الأثر الكبير في تخلي الامبراطور البيزنطي عن مهاجمة السلاجقة والعودة إلى القسطنطينية مرة أخرى(Cinnamus، 1836، ص43–44).

وفي عام 1149م/544هـ فك أمير سيواس ياغي سيان ارتباطه بالبيزنطيين، وهاجم مناطق البيزنطيين بمساعدة السلطان السلجوقي مسعود، مستغلاً انشغال البيزنطيين بحروبهم مع الألمان والمجريين وصقلية(عمران، 1985، ص182).

ولم يترك ياغي سيان فرصة إلا واستغلها فعندما تقاتل البيزنطيون والسلاجقة، هاجم ياغي سيان مدن بيزنطية وهي بافرا وبونا الواقعتين على البحر الأسود وسيطر عليهما؛ حتى استردهما القائد البيزنطي الكسيوس جيفاردوس Alexius Giphardos عام 1158م/553هـ؛ كما استعاد جيفاردوس المدن البيزنطية الأخرى التي سيطر عليها السلاجقة(Cinnamus، 1836، ص135).

وفي الوقت الذي كان الأمير الدانشمندي ياغي سيان يهاجم المدن البيزنطية ويتحالف مع السلاجقة، كان الإمبراطور البيزنطي مانويل يستخدم مكره ودهائه في بث الفرقة بين الدانشمنديين والسلاجقة من ناحية أخرى؛

(*) ملاجنة: مدينة تقع شمال غرب الاناضول في الطريق المؤدي إلى القسطنطينية من قلب الاناضول.ابن خردذبة، ابوالقاسم عبدالله (912م/300هـ): المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1988م)ط1، ص92.

ففي عام 1161م/556هـ، قام الإمبراطور البيزنطي مانويل بتحريض ياغي سيان الذي كان حليفاً له في وقت سابق ليهاجم السلطان السلجوقي عزالدين قليج أرسلان الثاني (1156م/551هـ- 1192م/ 588هـ)، وبالفعل نشبت الحروب بينهما واستفاد البيزنطيون من ذلك بتوقيع معاهدة بينهم وبين قليج أرسلان، وقد أفادنا المؤرخون(Cinnamus، 1836، ص236)، بأنها كانت في صالح الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول.

وهكذا أخذت الأمور والعلاقات بين السلاجقة والدانشمنديين تتدهور، وفي المقابل كان ذلك يصب في مصلحة البيزنطيين، وقد رأى السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني أن ياغي سيان وبعض السلاجقة يخططون للمؤامرة عليه بتشجيع أخيه شاهنشاه لتولي أمر السلاجقة، مما جعل السلطان السلجوقي قليج ارسلان يتقرب إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول بل ويزوره في عاصمته القسطنطينية ليقطع بذلك أي اتصالات بين ياغي سيان والبيزنطيين وأن يكون هو الحليف للبيزنطيين دون غيره(عمران، 1985، ص275).

استمر التحالف بين الامبراطور البيزنطي مانويل وسلطان السلاجقة قليج أرسلان لمدة عامين فقط، وفي العام الثالث أي 1163م/ 558هـ اجتاح مانويل أراضي قليج أرسلان، ولم يجد قليج أرسلان وياغي سيان بدٍ من تناسي الخلافات وقاموا بتوحيد جهودهما الحربية ضد البيزنطيين، وقد حقق هذا التحالف نجاحاً باهراً في صد البيزنطيين وتم دحر المهاجمين وعادوا أدراجهم إلى القسطنطينية(ابن الأثير، ج11، ص313-314).

لم تدم العلاقة بين ياغي سيان والسلطان السلجوقي قليج ارسلان الثاني طويلاً، ففي عام 1164م/559هـ، دب الخلاف بينهما واستنجد قليج ارسلان بالامبراطور البيزنطي مانويل وامده بقوات وعتاد، إلا أن وفاة الامير الدانشمندي ياغي سيان حالت دون حدوث حرب، وتمت تسوية المسائل سلمياً(ابن فضل الله العمري، 2002، ج27، ص43).

تولى أمر الدانشمنديين ذي النون بن محمد (1172م/568هـ- 1174م/ 570هـ) وطمع قليج ارسلان في املاكه وأخذ يهاجمها وسيطر عليها مما جعل ذي النون يستنجد بالأتابك نورالدين محمود زنكي(الملك العادل ابوالقاسم نورالدين محمود) حاكم الشام(1118م/ 511هـ- 1174م/ 569هـ) (أبو شامة، 1962، ج1، ص9).

وبعد وفاة نورالدين محمود 1174م/ 569هـ، استنجد مرة أخرى بالإمبراطور البيزنطي مانويل الأول الذي لم يتوان في نجدته إذ ارسل له جيشاً في عام 1176م/571هـ(Cinnamus، 1836، ص274).

تحركت القوات البيزنطية لنجدة ذي النون كما أسلفنا، وكان عدد هذه القوات يتجاوز الثلاثين ألف مقاتل، بقيادة فاتاتزيس Vatatzes ابن أخت الإمبراطور البيزنطي مانويل؛ وتمت محاصرة مدينة قيصرية(Chalandon، 1912، ص507).

عمل السلاجقة على زرع الشك بين قائد الجيش البيزنطي وحليف الإمبراطور الدانشمندي ذي النون، وقد وقع ذلك في نفس فاتاتزيس موقعاً وقد توقع خيانة ذي النون في اية لحظة(Chalandon، 1912، ص507).

كما قام السلاجقة ايضاً بنشر خبر موت الامبراطور البيزنطي مانويل، مما اثار الفزع والارتباك في صفوف الجيش البيزنطي واحدث فوضى عارمة وانسحاب عدد كبير من البيزنطيين، استطاع السلاجقة من خلالها القبض على قائد الجيش البيزنطي فاتاتزيس وقتلوه وحملوا راسه الى السلطان السلجوقي قليج ارسلان الثاني(ابن العبري، 1986، ص193).

وعلى الرغم من أن ذي النون قد شارك السلطان قليج أرسلان الثاني في مهاجمة البيزنطيين وهزيمتهم إلا أن خوفه من غدر قليج ارسلان جعله يفر إلى الجبال في منطقة الاناضول ليقبض عليه البيزنطيين(المحيميد، 1994، ص232).

ادى مقتل فاتاتزيس إلى غضب الامبراطور البيزنطي مانويل ، كيف لا وهو ابن اخته وقائد حملته، مما جعله يحشد قواته وتولى قيادتها بنفسه، وذلك لمهاجمة السلطان السلجوقي قليج ارسلان في عاصمته قونية، وفي المقابل كان قليج قد عد العدة هو ايضاً، وتحالف مع امراء المناطق المجاورة، وقام بتخريب بعض الاماكن التي سيمر منها جيش مانويل وحرق المحاصيل وسمم المياة(Chalandon، 1912، ص508).

ومع هذه الاحتياطات والاستعدادات التي قام بها السلطان قليج أرسلان إلا انه اصدر أوامره بعدم الاحتكاك بالجيش البيزنطي، وقد يعزو من خلال ذلك نية التفاوض إن امكن ذلك؛ وخشية انضمام الدانشمنديين إلى الجيش البيزنطي.

وتحقق للسلطان قليج أرسلان مايصبوا اليه، فقد تفاوض مع الإمبراطور البيزنطي ونقل الإمبراطور امر المفاوضات التي جرت بينهما إلى مجلسه العسكري.

انقسم المجلس العسكري البيزنطي إلى فريقين يرى الفريق الاول ان التفاوض يصب في مصلحة البيزنطيين؛ بينما يرى الفريق الآخر ان الحرب ضرورة لتأديب السلاجقة ولأخذ الثأر، وكان الامبراطور مؤيداً لرأي الحرب كما اورد لنا شالنديون(Chalandon، 1912، ص509).

انهارت المفاوضات ودقت طبول الحرب من جديد، وتحرك جيش البيزنطيين لمواجهة السلاجقة، ووصلت القوات البيزنطية إلى حصن ميريوكيفالون البيزنطي جنوب غرب مدينة انقره الحالية وشمال غرب مدينة قونية، وكان خراباً في عهد الامبراطور البيزنطي مانويل الاول.

على أي حال التحم الجيشان يوم الجمعة 17سبتمبر 1176م/ 5ربيع الأول572هـ واستطاع السلاجقة إلى قسم الجيش البيزنطي قسمين، مما أحدث خسائر جسيمة ونجا الامبراطور البيزنطي باعجوبة، وخسر المعركة وبدأ في مراسلة السلطان قليج ارسلان طالباً الصلح، وعرض عليه تسليم جميع مدن السلاجقة التي سيطر عليها البيزنطيين، وتدمير القلاع الحدودية (Magdalino، 2008، ص621)، مقابل السماح للقوات البيزنطية بالانسحاب بسلام (ابن العبري، 1986، ص193).

وبذلك أخفق الامبراطور البيزنطي مانويل في مهاجمة السلاجقة، والثأر لابن اخته فاتاتزيس وخسر المعركة ايضاً (عمران، 1985، ص347).

وفي العام التالي كان الجيش السلجوقي عائداً نحو الأراضي التركية عن طريق جسر على نهر مينيدير ربما يكون مدمراً، بالقرب من حصون هيلن وليموشير، واختبأ البيزنطيون وانقسموا إلى فيلقين يفصل بينهما النهر، وكان كميناً محكماً استطاعوا من خلاله تدمير جيش السلاجقة وغرق من حاول الهرب، وكانت المعركة انتصاراً بيزنطياً مهماً (الصوري، 1994، ج2، ص347).

ولم تكن طموحات الإمبراطور البيزنطي مانويل تقف عند حد، حتى قبل هذه الفترة، وهو الذي يطمح إلى استعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية، فرأى في عام 1168م/ 564هـ أن سيطرته على مصر تحقق له كثير من المزايا حتى لو تقاسمها مع الصليبيين، فمصر هي التي كانت تمد القسطنطينية في عهد الامبراطورية الرومانية بكثير من المحاصيل(الصوري، 1994، ج2، ص347)، إضافة إلى أن السيطرة على مصر ستمنح البيزنطيين والصليبيين قوة كبيرة خاصة في مواجهة القوى الاسلامية المتنامية بقيادة الزنكيين(عمران، 1985، ص300).

ولهذا عقد الإمبراطور مانويل اتفاقاً مع ملك بيت المقدس عموري الأول (1163م/558هـ-1174م/569هـ) على القيام بحملة مشتركة على مصر (عمران، 1985، ص300).

وكان مانويل أكثر حرصاً وتأييداً على تنفيذ هذا المخطط (عمران، 1985، ص340)، فقام بتجهيز أسطول بحري ضم مائة وخمسين سفينة حربية من الشواني(*)؛ تحمل مؤن تكفي لثلاثة أشهر واستقر هذا الأسطول

(*)- الشواني: ومفرده: الشيني هي اقدم السفن الرومانية ، وكانت من اكبر السفن واكثرها استعمالاً لحمل المقاتلة، وعليها ابراج وقلاع للدفاع والهجوم. ومتوسط ما يحمل عليها من الرجال مائة وخمسون رجلاً ولها مائة مجداف.ابن مماتي،اسعد ابو المكارم بن مهذب بن مينا بن زكريا(الوزير الايوبي) (ت:1209م/606هـ): كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي(القاهرة،1991م)ط1، ص340.

في قبرص بانتظار حليفهم ملك بيت المقدس عموري الأول (النشرتي، د.ت، ص132)، الذي تأخر في استعداداته نتيجة لاضطرابات في بعض فرق جيوشه الذين يرون في الحملة تمكين للبيزنطيين في مصر على حساب الصليبيين؛ إلا أن ملكهم عموري يرى أن تبقى مصر في ايدي البيزنطيين افضل من ان تكون في ايدي الزنكيين(عمران، 1985، ص300).

على أية حال اُستكملت الاستعدادات وأُذنَ للبيزنطيين بالتوجه إلى عسقلان ومن ثم تجتمع بالقوات الصليبية وتنطلق الأساطيل إلى دمياط، وتم لهم ذلَك؛ كما قام القائد صلاح الدين الأيوبي بإرسال قواته إلى دمياط أيضاً. وطلب إمدادات من الشام ووصلته من نورالدين محمود على الفور (ابن إيبيك، 1972، ج7، ص44).

قام عموري الأول بتأجيل الهجوم لمدة ثلاثة أيام، لإقامة الأبراج العالية ذات السبع طوابق، واستفاد صلاح الدين من هذه المهلة فعبأ مدينة دمياط بالرجال والآلات وأقام هو الآخر ابراج عالية شحنها بالأسلحة والرجال.

صمدت مدينة دمياط شهرين وعشر أيام وبدأت مؤن البيزنطيين تنفذ شيئاً فشيئاً وطلبوا من قوات عموري المؤن فرفضوا خوفاً على نفاذ مؤنهم أيضاً(ابن الأثير، ج9، ص105).

بادر صلاح الدين بمهاجمة التحالف البيزنطي الصليبي ولم تتمكن الأساطيل من مساعدتهم لبعدها عن أرض المعركة، ووجود السلاسل الحديدية في المياة؛ دب الخلاف بين قوات التحالف بسبب المؤن، وهطلت الأمطار على معسكر التحالف وأغرقته؛ وأمعن صلاح الدين في هجومه مما أربك التحالف وأوقع بهم خسائر فادحة، وتحت هذه الظروف لم يجد عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس بدًّا إلا التفاوض مع صلاح الدين وتم لهم ذلك (565/1169هـ) (عاشور، ص22).

وكانت أسباب هزيمة حلف الملك عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس والإمبراطور البيزنطي مانويل الأول تتلخص في الآتي:-

حالة الاضطرابات التي سادت الجيش البيزنطي الصليبي؛ إضافة إلى نفاذ المؤن خاصة عند البيزنطيين والإمدادات التي وصلت من نورالدين محمود وكذلك مهاجمة نورالدين لاملاك الصليبيين في الشام عقب هذه الهزيمة على أسوار دمياط، اضطر الإمبراطور البيزنطي مانويل وعموري ملك مملكة بيت المقدس إلى الانسحاب من مصر بعد فشل الحصار ولم تحقق الحملة هدفها الرئيس وهو السيطرة على مصر، وتكبدت الامبراطورية البيزنطية خسائر كبيرة في الارواح والموارد خلال الحملة كما أدت الحملة إلى إضعاف نفوذ مانويل في المنطقة، وأدت أيضا إلى توترات مع مملكة بيت المقدس؛ وكان لهذا الفشل اثره الاستراتيجي بعيد المدى متمثلاً في اضعاف بيزنطة وبداية نهاية سيطرتها وفتح الباب امام صعود قوى جديدة ؛ أي ان

الامبراطورية البيزنطية لم تعد القوة العظمى في المنطقة كما كانت، مما غير موازين القوى لصالح السلاجقة ومن ثم ظهور العثمانيين فيما بعد .

أما في الغرب فقد حاول الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول السيطرة على موانئ جنوب إيطاليا فأرسل رحلة استكشافية عام 1155م/ 550هـ بالتحالف مع الملك الألماني كونراد الثالث مستغلاً الاضطرابات الداخلية في مملكة صقلية(Duggan، 1963، ص153)، بعد موت ملكها روجر الثاني(Magdalino، 2008، ص621)، وتولي ويليام الأول William I(1154/ 549هـ- 1166م/562هـ)، تلك الاضطرابات التي شجعت الإمبراطور مانويل الأول على الاتفاق مع كونراد الثالث على تقسيم جنوب إيطاليا وصقلية، وبعد موت كونراد وتولي فريدريك بربروسا أطلقت الحملة ضد النورمان، وتخاذل فريدريك وعادت جيوشه إلى شمال جبال الألب؛ إلا أن الإمبراطور مانويل أرسل عشر سفن وكثير من الأموال والذهب وحققت حملة مانويل(Birkenmeier، 2001، ص114)، تقدماً سريعاً في حين ساندها أهل جنوب إيطاليا ضد الصقليين واستسلمت بعض المعاقل أما للقوة أو لإغراء الذهب(Magdalino، 2008، ص621)، استولى مانويل على باري وتراني واندريا وتارنتوا وبريندیزي؛ وهاجم المواطنون القلعة النورماندية، ومني جيش ويليام بهزيمة نكراء، ويبدو أن البابوية رأت في التحالف مع البيزنطيين أفضل من النورمان المزعجين كما يصفهم الصوري(الصوري، 1994، ج3، ص135)، وعرض الإمبراطور مانويل على البابا أدريان الرابع (1154- 1159م) مبلغ كبير من المال مقابل سيادة ثلاث مدن بحرية وأن يقوم بمساعدته على طرد الصقليين؛ وجرت المفاوضات وتحالف مانويل والبابا ادريان؛ لكن الخلافات حول السلطة البابوية أدت إلى فشل هذه المساعي، ومن ثم انقلبت الامور ضد مانويل وشن النورمان هجوماً برياً وبحرياً وانتفض اؤلئك الذين استجارهم الامبراطور مانويل بان طلبوا زيادة اجورهم ولم يستجب لهم فتركوا ارض المعركة واختفى البارونات وحسمت المعركة لصالح النورمان عام 1158م/ 553هـ وغادر البيزنطيين ايطاليا(Birkenmeier، 2001، ص115-116).

ومما هو جدير بالذكر ان كل هذه المحاولات قد ادت إلى إضعاف القدرات البيزنطية، بل انها ادت إلى تراجع النفوذ البيزنطي إلى حد كبير وأكدت سيادة القوى المحلية مثل النورمان ولعل ذلك مما حول اهتمامه نحو الشرق وتأمين الحدود لكنها لم تكن ناجحة بشل دائم.

استغل الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول الصراع على تولي العرش في مملكة المجر بعد وفاة ملك مملكة المجر جيزا الثانيGezall(1141-1162م) وتدخل في شؤون الخلافة المجرية ودعم الملك الشاب ستيفن الثالث لاديسلاس الثاني محاولا ضم المجر لامبراطوريته، وانتصر ستيفن الثالث عام 1163م/ 558هـ، وفي عام1167م/ 562هـ اختلفا، ووصل الأمر بينهما إلى الحرب ونجح الجيش البيزنطي في ضم أتراك وكومان

وصرب ومرتزقة إيطاليين وألمان؛ بينما ضم جيش المجريين حلفاء ألمان ويتكون من رماة وفرسان ومشاة(Birkenmeier، 2001، ص117).

التقى الجيشان في منطقة سيرميوم وصمد المجريون في بداية المعركة حتى هاجم البيزنطيون القوات المحيطة بالقائد المجري مما دفع القوات للاستماتة ومن ثم التراجع للخلف وفر القائد المجري وأسر خمسة من القادة المجريين ومايقارب ثمانمائة من الجنود؛ وانهزم الجيش المجري، واعترفوا بسيطرة الإمبراطورية البيزنطية على البوسنة ودالماشيا وكرواتيا (Cinnamus، 1836، ص274؛،2001.Birkenmeir،ص241).

مما تقدم نلاحظ ان الامبراطور البيزنطي مانويل قد قاد قواته إلى المجر بهدف ضم أراضيهم وليحقق نفوذ بيزنطي عبر القوة حيناً وبالدبلوماسية حين آخر، ولا شك أنه حقق نجاحاً ولو مؤقتاً في السيطرة على المجر.

مواجهة الصليبيين في بلاد الشام

أدى سقوط إمارة الرها في أيدي الزنكيين عام1144م/538هـ، إلى خيبة أمل كبيرة وفزع في الأوساط الأوروبية، مما جعل البابا إيجين الثالث (عمران، 1986، ص310)، (1145م/ 539هـ- 1153م/ 548هـ) يدعو بنفسه إلى الحملة الصليبية التي عرِفت فيما بعد بالحملة الصليبية الثانية، خوفاً على بقية الإمارات الصليبية في الشام وضياع مملكة بيت المقدس.

وعلى الرغم من أن أوروبا في هذه الفترة ليست أوروبا قبل الحملة الصليبية الأولى فقد قل الحماس نظراً للنزاع بين الكنيسة والبابوية وضعف الباباوات وزاد الاهتمام برواج التجارة (عاشور، 1975، ط3، ص604)؛ إضافة إلى اليقظة الفكرية في أوروبا حيث بدأ الناس يفكرون تفكيراً حراً غير متأثر بالتعصب الديني،إلى غير ذلك من دراسة القانون، وأصبح غالبية الناس لايفكرون إلا بالتمتع بمظاهر الحياة الجديدة(حسن، 1991، ج3، ط3، ص236).

ورغم هذا كله فقد قام برنارد دراوف كليرفوBernard of Clarvaux رئيس الدير الفرنسي من قرية كليرفو التي تقع في شمال شرق فرنسا، بإصدار مرسوم في اول ديسمبر 1145م، الثامن من جمادي الآخر540هـ دعا فيه إلى حملة صليبية ثانية(الصوري، 1994، ج3، ص269؛ انظر أيضاً)، ثم انتقل إلى المانيا التي لم يجد صعوبة تذكر في اقناع الالمان فقد وصلت اخبار فرنسا اليهم ليجد فردريك بارباروسا Friedich I Rotbart (1155-1190م) ابن اخ كونراد الثالث ليتلقى الصليب من ايدي برنارد للمشاركة في الحملة. وتميزت هذه الحملة بأن استجاب لهذه الدعوة ملوك أوروبا وهم الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII de France(1120م/514هـ-1180م/ 575هـ)، وكونراد الثالثIII Konrad (1093م/486هـ-

1152م/547هـ) ملك المانيا وبمساعدة عدد من نبلاء اوروبا البارزين الذين سجدوا عند اقدام برنارد دراوف كليرفو Clarvaux .

إعداد الجيوش

يفيدنا المؤرخون(الصوري، ج3، ص269) أن قوات الصليبيين تألفت من حوالي 20 ألف فارس من القوات الألمانية، في حين أن قوات الفرنسيين من حوالي 700فارس، إلى جانب أعداد من نبلاء أوروبا لم تذكر المصادر أعدادهم، إلى جانب قوات مملكة بيت المقدس التي تصل إلى حوالي 950 فارس و6000 جندي مشاة؛ ولم يشارك ملك انجلترا في الحملة بسبب الصراعات الداخلية في مملكته(Hittell، 1874، ص137).

ومما يجب ذكره أنه أثناء فترة إعداد الجيوش تم تقديم كثير من النصح والإرشاد وحث المقاتلين على تخليص المقدسات وما إلى ذلك من مزاعمهم التي اعتادوا عليها أثناء حملاتهم الصليبية على المشرق الإِسلامي.

طرق الحملة:

على أية حال انطلقت الحملة الصليبية والتي تعرف بالحملة الصليبية الثانية التي دعا إليها البابا ايجين الثالث (1145م/539هـ- 1153م/ 548هـ)، الملك الفرنسي لويس السابع ترافقه زوجته الينورا، من أوروبا كثاني حملة رئيسية؛ والتي جاءت كرد فعل على سقوط إمارة الرها الصليبية 1144م/538هـ؛ فقد كانت الرها أول إمارة صليبية تقام في بلاد الشام في الحملة الصليبية الأولى(*)، وأول إمارة صليبية تسقط في ايدي الزنكيين(*).

اتخذ الملك الألماني كونراد الثالث الطريق البري عبر المجر، خوفاً من أن يعترضه النورمان في صقلية فقد كان ملكهم روجر الثاني يكن العداء للملك الألماني كونراد الثالث.

(*)كانت إمارة الرها اول امارة صليبية استولى عليها بلدوين البولوني أحد امراء الحملة الصليبية الأولى ليؤسس إمارة لنفسه وفي مدينة مهمة تاريخياً فضلاً عن موقعها في شمال الجزيرة وكانت سداً منيعاً لحماية الصليبيين من أي هجوم من الشرق.صبرة، عفاف سيد: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي(القاهرة، 1985م) ص19.

(*) الزنكيون: ينتمي الزنكيون إلى قبائل السبايو التركمانية اهتم بهم المؤرخين بسبب الدور الذي لعبوه على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية وقد كان جدهم اق سنقر من اصحاب السلطان ملكشاه الأول واترابه وقيل انه لصيقه ومن أخص اصدقائه ولما تسلم ملكشاه الحكم عينه حاجباً له ووثق به حتى افضى له بأسراره واعتمد عليه في مهماته، فكان ابرزقادته، ثم كانت دولتهم. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد (ت: 1211-1286م /608- 681هـ): وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر(بيروت،1978م)، مج1، ص217-218.

أما بالنسبة للجيش الفرنسي تحت قيادة الملك لويس السابع ترافقه زوجته الينورا، فقد حاولوا اختيار طريق آخر فلا زالت ذكريات الحملة الصليبية الأولى وما لاقوه من متاعب عالقة في أذهانهم ؛ ومع هذا لم يجدوا بدًّا من متابعة السير وراء الألمان .

وعلى أية حال اتفقوا على تحرك قواتهما على أن يلتقيا في القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ؛ وسمح لهما ملك المجر جيزا الثانيGejza II (1130–1162م) بعبور الأراضي المجرية.

دور الإمبراطور البيزنطي من الحملة الصليبية الثانية:

واجه الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس في العام التالي لولايته 1144م/ 538هـ أولى الصعاب، وهي مطالبة ريموند الثاني أمير أنطاكية (*)، بالتنازل على مقاطعة قيليقية، إلا أن ظهور قوة الزنكيين الذين هاجموا مقاطعة الرها(*) . جعلت ريموند يتراجع في مطالبته تلك لمانويل بل ويتنازل عن كبريائه وزار القسطنطينية طالباً العون والمدد والحماية، وكان له ذلك مقابل ولائه للبيزنطيين(Magdalino، 1993، ص42).

علم الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول بقرب وصول الحملة الصليبية؛ وعلى الرغم من خوفه من وصول اعداد كبيرة من الجيوش الغربية لحدود امبراطوريته، ولعل ما قامت به قوات اوروبا في الحملة الصليبية الأولى لازال عالقاً في اذهان البيزنطيين، وقد ذاقوا مرارة تلك الأمور من سرقة وتخريب ودمار أثناء مرور الحملة الصليبية الأولى عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية (Grousset، 1935، ص24–25)، كما أسلفنا، إلا أن ذلك كله لم يمنع الإمبراطور البيزنطي من عدم ممانعة مرور القوات عبر الأراضي البيزنطية، وقد كان موقفاً ايجابياً؛ ولعل ما يجمعه بهم هو عداؤهم المشترك للنورمانديين (*)، في صقلية، كما كانت هناك علاقات زواج ومصاهرة اعتبرت كعهد للتحالف الدائم والصداقة المستمرة(اليوسف، 1969، ص115–116).

(*) ريموند:هوريموند دي بواتيه الرابع كونت تولوز ويعرف ايضاً باسم كونت سان جيل اغنى دوقية في فرنسا ويعتبر ريموند اول نبيل يستشيره البابا اوربان الثاني عند الاعداد للحملة الصليبية الأولى، امير انطاكيا(1136–1149م/ 531–544هـ)..Kinnamos; Deeds of jons and Manuel I Comnenus.p.22

(*) الرها:مدينة كبيرة وبها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصارى وهي مدينة رومية عظيمة فيها اثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي للفرات.ابوالفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي،الملك المؤيد صاحب حماه(ت: 1332م/732 هـ):تقويم البلدان، المكتب التجاري للطباعة (د.م، د.ت)ج1، ص377.

(*)النورمانديون:Normans اسم محرف من لفظ الشماليين Northmen وهم سكان البلاد الاسكندنافية كفنلنده والنرويج والدنمارك والسويد الذين استقروا منذ (911م/ 299 هـ) بوادي نهر السين واشتقت البلاد التي استقروا بها اسم نورماندیا منهم، وكانوا يتصفون بالشجاعة والوحشية والقوة، واعتنقوا المسيحية واستعاضوا عن ذكرياتهم الشمالية بتقاليد اللاتين. للاستزادة،فيشر ، هـ .أ.ل: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ق1، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف(مصر الجديدة، 1950م) ص127.

ومع كل ما تقدم احتاط الإمبراطور البيزنطي لكل هذه الأمور بأن جهز قوات في عاصمته القسطنطينية استعداداً للدفاع عنها إذا لزم الأمر (عاشور، 1991، ص110)؛ وأخذ يوزع قواته في مواقع استراتيجية على الطريق، كما قوى وسائل الدفاع عن بلاده، وذلك لعدم ثقته في أصدقائه الألمان(الصوري، ج3، ص273).

ومع تحرك الملكين بجيوشهما كل على حده وأخرهما إمبراطور بيزنطة مانويل الأول بعض الشئ تحفظاً على ممالكه، فقد نجح مانويل في التعامل مع خطر مرور الحملة الصليبية الثانية من أراضيه؛ وعبرت الجيوش المناطق البيزنطية، وأمدهم بما يحتاجونه من الأدلاء والخبراء في معرفة الطرق والمسالك، رغم أن الملك الألماني كونراد لم يثق هو الآخر في كل ما قدمه البيزنطيون، وسلك طريق الحملة الصليبية الأولى (الصوري، ج3، ص273).

هذا على الصعيد الرسمي من قبل الإمبراطور البيزنطي؛ أما موقف البيزنطيين الشعبي فقد أُغلقت القسطنطينية في وجوه الألمان، ورفض أصحاب المحلات البيع لسلعهم إلا بعد استلام اثمانها ومن مكانات عالية، أي أن انعدام الثقة هو سمة التعامل، ولم يمنع هذا الحرص من عمليات السلب والنهب لسد حاجات الصليبيين (اليوسف، 1969، ص115)، وحدثت بعض الخروقات رغم إصلاح مانويل للتحصينات والأسوار، فقد هاجم جيش كونراد بعض القوات البيزنطية خارج أسوار المدينة إلا أن البيزنطيين قد دحروا الألمان؛ ووافق كونراد على نقل جيوشه إلى داماليس عند مضيق البسفور (Kinnamos، 1976، ص66–67).

وعلى الرغم من ذلك فقد تحسنت العلاقات بين الملك الألماني كونراد والإمبراطور البيزنطي مانويل الأول في العام المقبل 1148م/542هـ، وتحالفا ضد روجر الثاني النورماني ملك صقلية، إلا أن وفاة الملك الألماني كونراد في عام 1152م/546هـ؛ حالت دون ذلك فقد خلف الملك كونراد الثالث فريدريك باربروسا ولم يتفق فريدريك مع الإمبراطور مانويل في مهاجمة النورمان في صقلية.

ويفيدنا وليم الصوري(الصوري، ج3، ص281) أن عبور الألمان للأراضي البيزنطية إلى بلاد الشام قد تم بالأدلاء البيزنطيين والذين يبدوا أنهم غرروا بهم ومكنوا منهم السلاجقة في الأناضول لتتلقفهم قوات السلاجقة المسلمين وتهزمهم شر هزيمة؛ بعد ان أعدت لهم كميناً أبادت غالبية جيشهم، مما جعل كونراد الثالث ينهزم بمن معه ويلجأ إلى مدينة نيقية، ومن ثم انطلقوا يجرون أذيال الهزيمة إلى القدس عام 1148م/543هـ.

ولم يختلف الوضع كثيراً مع القوات الفرنسية، بل زاد الطين بلة إذ زادت شكوك الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول في صداقة الملك الفرنسي لويس السابع بملك النورمان روجار الثاني Roger II (1105م/499هـ–

1154م/ 549هـ) [*]، الذي حارب البيزنطيين في البلقان وجزيرة كورفو واليونان، كما كانت هناك علاقات بين البيزنطيين والسلاجقة مما أثار حفيظة وغضب الملك الفرنسي لويس السابع؛ ورغم هذه التوترات إلا أن الملك الفرنسي أراد أن يجتاز هذه المنطقة بأي ثمن وبأسرع وقت ممكن، فقام بتسوية أموره مع البيزنطيين للعبور إلى آسيا الصغرى(اليوسف، 1969، ص117).

عبر الملك الفرنسي لويس السابع الأراضي البيزنطية، وعلم بما حدث لجيش كونراد من هزيمة، الذي التقى به فيما بعد، وقررا توحيد جهودهما وسلكا الطريق الساحلي وصولاً إلى مدينة انطاكيا 1148م/543هـ(الصوري، ج3، ص281)؛ ليهاجموا دمشق محاولة منهم للسيطرة عليها إلا أنهم فشلوا كذلك وانهزموا عام1149م/544هـ(توفيق، 1986، ص55).

وهكذا انتهت الحملة الصليبية الثانية بهزيمة الصليبيين وانتصار ساحق للمسلمين وقد توج هذا الانتصار بنتائج مهمة منها فتح المسلمين للقدس من جديد؛ وأسفر فشلها إلى تدهور العلاقات بين فرنسا والإمبراطورية البيزنطية(حسن، 1991، ص210).

توفي الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول في 24 من سبتمبر عام1180م 25 ربيع الثاني576هـ؛ وكان ابنه وخليفته الكسيوس الثاني كومنينوس قاصراً، وكانت الإمبراطورية محكومة بوصاية(Magdalino، 2002، ص189). تسبب موت مانويل كومنينوس عام 1180م بإنهاء الحملات العسكرية البعيدة عن القسطنطينية(Magdalino، 2002، ص189–190).

(*)– روجر الثاني: اشهر حكام صقلية في عهد النورمان وابرزهم، تميزت سياسته بالتسامح نسبياً مع مسلمي صقلية، وهي استمرار لسياسة والده روجار الأول (1031–1101م/ 423–495هـ)، ابن جبير، أبو الحسين محمد بن احمد(ت: 1217م/ 614هـ)رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت، 1984م)ج5،ط1،ص306.

الخاتمة:

وبعد كان الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنينوس(1143-1180م) شخصية بارزة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، فقد حكم بعد وفاة والده الإمبراطور يوحنا الثاني (1118-1143م)؛ وواجه مانويل تحديات كبيرة، رغم أنه قام بإصلاحات داخلية في الجيش عندما أقام سلسلة من التحصينات والأبراج على طول الحدود لصد غارات السلاجقة.

وتحالف الإمبراطور البيزنطي مانويل مع القوى الأوروبية وخاصة مملكة بيت المقدس، إضافة إلى معالجته لأحداث الحملة الصليبية الثانية حيث سهل مرورها عبر أراضي إمبراطوريته؛ فتحالف مع الملك الفرنسي لويس السابع، وملك المانيا كونراد الثالث، وجنب إمبراطوريته الاصطدام بهذة القوات كما حدث في الحملة الصليبية الأولى.

واعتبر المؤرخون معركة ميريوكيفالون عام1176م ضربة قاصمة للجيش البيزنطي في عهد مانويل، حيث تعرض لهزيمة كبيرة على يد جيش السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني.

ومع هذا كله فقد ترك الإمبراطور البيزنطي مانويل إرثاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً على الرغم من تلك التحديات، ولعل ذلك ما يظهر جلياً بعد وفاته عام 1180م وتولي ابنه القاصر وتدهور الإمبراطورية جراء التحديات الداخلية والخارجية التي أدت في نهاية الأمر إلى سقوط الإمبراطورية على أيدي الصليبيين عام 1204م.

النتائج:

- شهدت الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس الأول 1143-1180م نشاطاً عسكرياً ودبلوماسياً مكثفاً.
- لعب دورا مهما في تسهيل مرور الحملة الصليبية الثانية رغم بعض الانتهاكات
- حاول الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول استغلال الصراع بين الزنكيين في الشام والصليبيين في الإمارات الصليبية؛ فتحالف مع القوى الأوروبية على أن يغزو مصر مساعدة للصليبيين ويفوز هو بمصر أو جزء منها باعتبار أن مصر كانت من ضمن أملاك الإمبراطورية البيزنطية قبل الفتح العربي؛ وهزِمت قوات التحالف عند مدينة دمياط، ففشل في السيطرة على مصر، وعقد هدنة مع الزنكيين.
- لم يتمكن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول رغم محاولاته المستميتة من القضاء على السلاجقة أو وقف تقدمهم في آسيا الصغرى؛ وأدى صراعه المرير مع السلاجقة لسنوات متتالية انتهت بهزيمة القوات البيزنطية لهزيمة ساحقة في معركة ميريوكيفالون 1176م.

- لم تعد الإمبراطورية البيزنطية القوة الوحيدة في المنطقة، فبدأت تنافسها قوى اخرى، واخذ ميزان القوى يتغير تبعاً لمجريات الاحداث.
- ادى الانتصار الذي حققه السلاجقة في معركة ميريوكيفالون إلى تحول اقتصادي كبير في الاناضول وعززوا سيطرتهم ومن ثم وسعوا قاعدتهم الاقتصادية على حساب الامبراطورية البيزنطية.
- تميز عهد الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول بسياسات خارجية طموحة وتحالفات مع الغرب عندما استنجد بهم محاولاً تحقيق أهدافه لكن الغرب لم يمده بالقوات التي طلبها.
- حقق البيزنطيون بعض الانتصارات المحدودة والتي خففت جانباً من هزيمتهم في ميريوكيفالون إلا أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول مات بعدها بقليل، فتراجعت الامبراطورية البيزنطية بعد وفاته.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر العربية:-

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (1997). الكامل في التاريخ (ج11). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (1963). الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل). تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات. القاهرة: دار الكتب الحديثة.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (1984). رحلة ابن جبير (ج5، ط1). بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (1979). معجم البلدان (مادة قيليقا، ج1). بيروت: دار صادر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (د.ت). العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (ج5). الأردن: بيت الأفكار الدولية.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله (1988). المسالك والممالك (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (1978). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (مج1). بيروت: دار صادر.
- أبوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان (1962). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج1). القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.
- ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن أهرون الطبيب الملطي (1986). تاريخ الزمان. بيروت: دار الشرق.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، الملك المؤيد صاحب حماه (د.م/د.ت). تقويم البلدان (ج1). المكتب التجاري للطباعة.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (د.م/د.ت). المختصر في أخبار البشر (ج4، ج3). تقديم: حسين مؤنس، تحقيق: محمد زينهم محمد. الإسكندرية: دار المعارف.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين بن أحمد بن يحيى (2002). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج27). أبو ظبي: المجمع الثقافي.

- ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة بن القلانسي (1908). تاريخ أبي يعلي حمزة أبن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة المتنبي، دار المشرق.
- ابن مماتي، أسعد أبو المكارم بن مهذب بن مينا بن زكريا (1991). كتاب قوانين الدواوين. جمعه وحققه: عزيز سوريال عطية. القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1.
- ابن أيبك، أبو بكر عبد الله الدواداري (1972). كنز الدرر وجامع الغرر: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب (ج7). تحقيق: سعيد عاشور. القاهرة: المعهد الألماني للآثار الشرقية.

ثانياً: المراجع العربية:-

- توفيق، عمر كمال .(1986) *الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين: دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي* .الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- حسن، إبراهيم حسن .(1991) *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* (الجزء الثالث، الطبعة الثالثة). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- صبرة، عفاف سيد .(1985) *دراسات في تاريخ الحروب الصليبية* .القاهرة: دار الكتاب الجامعي.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح .(1975) *الحركة الصليبية* (الطبعة الثالثة). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح .(1991) *تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى* . بيروت: دار النهضة العربية.
- عمران، محمود سعيد .(1985) *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول (1143-1180)* .القاهرة: دار المعارف.
- عمران، محمود سعيد .(1986) *معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى* .بيروت: دار النهضة العربية.
- المحيميد، علي بن صالح .(1994) *الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول* (الطبعة الأولى). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- النشرتي، حمزة. (دون تاريخ) .*الناصر صلاح الدين الأيوبي* .القاهرة: المكتبة القيمة.
- اليوسف، عبد القادر أحمد .(1969) .*العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر* .بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

ثالثاً: المراجع المعربة: –

- رنسيمان، ستيفن .(1967) *تاريخ الحروب الصليبية* (ج2). ترجمة: السيد الباز العريني. بيروت: دار الثقافة.
- الصوري، وليم .(1994) *الحروب الصليبية* (ج2). ترجمة: حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- فيشر، هـ. أ. ل .(1950) .*تاريخ أوروبا في العصور الوسطى* (ق1). ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني. مصر الجديدة: دار المعارف.

المراجع الاجنبية:

- Birkenmeier, J. W. (2001). *The development of the Komnian army 1081–1180*.
- Chalandon, F. (1912). *Les Comene: Jean II Comnene 1118–1143, Manuel I Comnene 1143–1180*. Paris.
- Cinnamus, J. (1836). *Corpus scriptorium historiae Byzantinae Joannis Cinnami: Epitome rerum ab Joanne et Alexio Comnenis gestarum*. Rome.
- Cinnamus, J. (1976). *Deeds of John and Manuel Comnenus*. Translated by M. C. Brand. Columbia University Press.
- Diehl, C. (1924). *Histoire de L'empire*. Paris.
- Diehl, C. (2020). *History of the Byzantine Empire*. Steppenwolf Press.
- Duggan, A. J. (1963). *Story of the crusades*. London.
- Gibbon, E. (1794). *The decline and fall of the Roman Empire*. Illustrations by G. B. Piranesi; edited by G. Davidson.
- Grousset, R. (1935). *Histoire des croisades* (Vol. I). Paris.
- Hittell, J. S. (1874). *A brief history of culture*. Library of the University of Michigan.
- Kalti, M. (1970). *The Hungarian Illuminated Chronicle* (First American edition).

- Le Syrien, M. (1901). *Extrait de La Chronique de Michel le Syrien, 1166–1199* (Vol. 3). Paris.
- Magdalino, P. (1993). *The Empire of Manuel I Komnenos 1143–1180*. Cambridge University Press.
- Magdalino, P. (2002). *The Oxford history of Byzantium*. New York: Oxford University Press.
- Nikatas Choniates. (1984). *Annals of Niketas Choniates 1118–1207*. Critical edition and translation by H. J. Magoulias. Detroit: Wayne State University Press.
- Norwich, J. J. (1970). *The Kingdom in the Sun 1130–1194*. London.
- Paul, M. (2008). *The Byzantine Empire 1118–1204*. Cambridge University Press.
- Vasiliev, A. A. (1952). *History of the Byzantine Empire 324–1453* (Vol. I). University of Wisconsin Press, Canada.
- Vryonis, S. Jr. (n.d.). *The decline of medieval Hellenism in Asia Minor, the Caucasus, and neighboring lands in the 8th–15th centuries*.